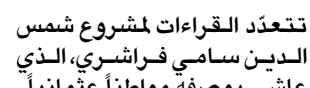


يؤكد كتاب «شمس الدين سامي فراشرى: تشابك العثمنة والقومية والإسلام»، الصادر حديثاً بتقديم وتحرير محمد م. الأرنؤوط، أن استعادة الفكرة القومية العثمانية لم تتعارض لدى المثقف والسياسي الألباني مع خلق هويات وطنية للشعوب التي كانت تحت حكم الدولة

## محمد م. الأرنؤوط في قراءة شمس الدين سامي فراشرى وزمنه

# تشابكات العثمنة والقومية والإسلام

محمود منير



تتعّدّد القراءات لمشروع شمس الدين سامي فراشرى، الذي عاش - بوصفه مواطناً عثمانياً - مرحلة حرجة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وإن كانت قاعدته الأساسية مبنية على إصلاح سياسي وفكري ولغوي قوامه الحداثة والتحديث في مواجهة تراجع دولته والتدخل الأجنبي في شؤونها.

انتماء المثقف الموسوعي والسياسي (1850 - 1904) إلى عائلة ذات مكانة في الطائفة البكتاشية أكسبه موقعاً متقدماً ضمن نخبة بلاده في تلك الفترة، وتلقبه تعليماً تقليدياً جعله يتقن، إلى جانب لغته الأم، الألبانية، كل من التركية والفارسية، ومعرفة جيدة بالعربية، قبل أن يتعلم لغات أوروبية أخرى كالإيطالية والفرنسية. وعبر الأخيرة أطلع على مدارس الغرب الفكرية ونظرياته السياسية.

بين ألبانيا وتركيا، ليس بالمعنى المكاني فحسب، إنما بإحالاته الثقافية وانعكاسه على الحراك السياسي الدائر في كلتا الجغرافيتين، برزت هذه الشخصية التي لا تزال موضع اهتمام ودرس شرقاً وغرباً، وأخرها ما تضمنته كتاب «شمس الدين سامي فراشرى: تشابك العثمنة والقومية والإسلام» من مقالات وأبحاث قدمها وترجم بعضها الكاتب والمؤرخ الكوسوفي السوري محمد م. الأرنؤوط، وصدر حديثاً عن «الآن ناشرون وموزعون».

تحضر مسألة مهمة في فكر فراشرى، بحسب دارسيه، والتي يعبر عنها في مسارين متوازين لكنهما رغم اختلافهما الظاهر فإنهما لا يتعارضان لديه، الأول يتمثل بتأثيراته الشاملة والمعمقة لمعنى أن تستعيد الفكرة العثمانية حضورها في نظام دستوري وبرلماني وتعديدي، والثاني يعترف بالوطنية الألبانية ضمن منظور واقعي يتجنب إلى أن سقوط الدولة الجامعة للشعوب التركية والعربية والكردية والبلقانية يجب ألا يعني فقدان تلك المكونات لأطر سياسية تجمع كل واحدة منها على حدة.

رحل مؤلف كتاب «بيسا أو كلمة العهد» قبل ثلاثي الدولة العثمانية بنحو عقدين، ما يجعله صاحب نظرة استشرافية يوضحها الأرنؤوط في تقديمه الكتاب، حين يتحدث عن التغيرات الثلاثة التي بدأت بالتبلور ضمن النخبة الجديدة في المشرق العربي أو الأناضول أو البلقان بعد تجميد الدستور العثماني الأول عام 1878. أول هذه التيارات يريد للدولة أن تكون قائمة على المواطنة المتساوية التي تحفظ حق المكونات المختلفة، وثانيها تيار الجامعة الإسلامية الذي يتجاوز حدود الدولة لاستقطاب النظام السلطاني في وجه الغرب، وثالثها تيار القومية الإثنية الذي فهم باعتباره يدعو لـ«دولة قومية» مستلهمة من الماضي لتستبدل أو ترث الدولة العثمانية أو قسماً منها.

في هذا السياق، يلفت الأرنؤوط إلى الدور المهم الذي لعبه فراشرى وسط هذه التيارات الثلاثة، إذ يعتبر أحد رواد «القومية الثقافية» و«القومية السياسية» التركية والألبانية، وبالتحديد الشخص الذي نظر وساهم بقوة في خلق الهوية القومية لدى شعبين كان لهما دورهما الكبير في إرغام



## شخصية لا تزال موضع اهتمام ودرسي شرقاً وغرباً

## تشابك العثمنة والقومية والإسلام، ومواجهة الاستبداد



منزل الأخوة فراشرى في بلدة فراشر الألبانية الذي تحول إلى متحف

## مقابك الإصلاحيين العرب

تكتسب الكتب التي تتناول سير ومنجزات إصلاحيين الشرق أهديتها من رباطها لجسور ثقافية بين مختلف مكونات هذا الشرق، فنقف في هذا الكتاب على مقارنة أفكار فراشرى بأفكار العديد من الإصلاحيين العرب خلال النصف الثاني من القرن 19، من أمثال محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي، سواء في جهود تطوير اللغة على أساس قومي، أو الإيمان بالحداثة في إدارة شؤون الدولة.

السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908 على إعادة العمل بالدستور المجدد. ولا يغفل محرر الكتاب اهتمام اللغوي والإصلاحي العثماني الألباني بما نشره من مؤلفات وقواميس في جعل العربية لغة معتبرة عن عصر جديد، كما أنه كان يتمتع لو يعرف اللغة الكردية ليقوم بما قام به من أجل الأتراك والألبان والعرب لـ«جعل اللغة أساس الوعي بالهوية القومية وليس الدين، وهذا لا يعني أنه كان معادياً للإسلام بل إنه كان سباقاً أيضاً في الانفتاح على الإسلام الحضاري والدفاع عنه في وجه الكتابات الأوروبية الجديدة التي كانت تربط بين الإسلام والتخلف، كما أنه كان يرى في الأفق إمكانية لرابطة ما بين الدول التي تضم الشعوب المسلمة».

من جهته، يشير الباحث أغا سري لغند، في دراسته «العصر الذي تشكل فيه شمس الدين سامي»، إلى إصدار فراشرى كتباً تتضمن إصلاح المنظومة التعليمية يتجلى بوضوح في دراسة «سامي فراشرى: في الأدب والفيلولوجيا التركية» للباحث حسن كلشي الذي يستعرض آراءه المتخصصة في اللغويات، حيث رأى «عدم ملائمة الأحراف العربية للمنظومة الصوتية للغة التركية»، و«كيف أن التركية تحولت من لغة أصيلة وقديمة إلى لغة خليطة لم تعد فيها لغة عربية ولا فارسية ولا تركية»، ليخلص إلى أن «الأدب المكتوب بهذه اللغة تشوّه وتحول إلى بلاغة، إلى تلاعب بالكلمات بدون أي مضمون»، وأن «هذا الأدب قد انفصل تماماً عن الشعب وحياته ومثله، ولذلك فإن الشعب أبدع أدبه الخاص لنفسه».

ويؤكد أن فراشرى كان من أبرز المبشرين بالعلوم الحديثة واستطاع إقناع الناشرين بإصدار كتب تصل إلى عموم القراء وتحمل مضامين علمية وفكرية واجتماعية مناهضة للاستبداد الحميدي الذي كان من أكبر المعادين له، ومن أبرز عناوينها «المدنية الإسلامية» و«الإنسان» و«الإنسان مرة أخرى» و«النساء». وفي كتابه الأخير تحدث بوضوح ومباشرة عن أن «الدرس الأول للتمنن هو الحاجة إلى تحرير المرأة»، وأن النبي محمّد دعا إلى تعليم النساء مثل الرجال، وأن يجب المرأة لا علاقة له بالدين بل بالعادات والتقاليد.

«شمس الدين سامي فراشرى: إسهامه في تشكيل الهويتين القوميتين الألبانية والتركية» عنوان دراسة بولنت بيلمز، التي تقر بأن المثقف كان حدائياً في الدرجة الأولى، ينظر إلى المشاريع الأخرى (الفرعية) كأداة من أجل تشكيل هوية جماعية حديثة داخل مجتمع متحذّر، وأن الأمة الحديثة هي الشكل الأكثر تطوراً (تمدناً) للمجتمع الإنساني، وأن «الهوية القومية» هي الهوية الجماعية المثالية، وأن «الدولة القومية» هي الإطار الثقافي والاقتصادي والسياسي الأفضل لها.

أمّا محمد م. الأرنؤوط، فيرى في دراسته «فراشرى: من الدولة العثمانية المشتركة إلى الدولة القومية الألبانية»، بأن يؤخذ بالاعتبار عاملان مؤثران في تكوين شمس الدين، الأول هو انحاده من عائلة «بكوأت» كانت تمثل الزعامة المحلية المتوارثة التي قضت عليها الإصلاحات العثمانية بعد 1831، لذلك نجد في كتاباته صورة إيجابية عن وضع الألبان قبل الإصلاحات الجديدة حين كانوا يعتمدون على قوتهم وسلاحهم فقط لخدمة من يحتاج إليهم من الولاة والحكام.

العامل الثاني، كما يفسره محرر الكتاب، يرتبط بالأول، وهو أن الإصلاحات الجديدة لم تنطلق إلا بعد أن قضت الحكومة على الانتشارية وعلى الطريقة البكتاشية سنة 1820 (طريقة صوفية تحولت إلى طائفة)، والتي ينتمي إليها شمس الدين وشقيقاه نعيم وعبدل، الذين لعبوا أدواراً سياسية مهمة في تلك المرحلة. ومن هنا، فإنه انتقل إلى إسطنبول سنة 1871 بموقف مسبق من الإدارة العثمانية الجديدة. وكانت الثقافة الأوروبية الحديثة ممّا ساهم في تبلور وعيه وموقفه لاحقاً، وهي ثقافة حصل عليها نتيجة لإتقانه الفرنسية والإيطالية واليونانية، ويضاف إليها اطلاعه على الثقافة العثمانية الجديدة التي وجدها في إسطنبول (ثقافة عصر التنظيمات).

النص الكامل على الموقع الإلكتروني

## نظرة أولى

ضمن سلسلة «مذكّرات وشهادات»، صدر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات»، كتاب **مذكّرات عبد السلام أحمد جلود: الملحة**، وفيه يروي رئيس وزراء ليبيا الأسبق مذكّراته؛ بدايةطفولته، ثم التقائه بمعمر القذافي وتعزّضهما للسجن، والتضحية لانقلاب 1969، ثم تولّيه منصب رئيس الوزراء، فاستقالته عام 1992 بسبب خلافه مع القذافي، وصولاً إلى وقوفه إلى جانب الانتفاضة الشعبية عام 2011. من خلال تجربته الممتدة لأكثر من ثلاثة عقود، يُضيء جلود على فترة من تاريخ ليبيا الحديث، وعلاقتها العربية والدولية.

يصدر هذه الأيام، لدى دار «الفرات للنشر والتوزيع» في بيروت، **ديوان شبلي شمئيل**، الذي جمعه وحققه وقدم له الكاتب والباحث اللبناني فارس يواكيم (1945). يشير يواكيم إلى أن مؤرخي الأدب لم يعتادوا تصنيف شمئيل (1850 - 1917) بين الشعراء، إذا لظالمًا غالب الجانب العلمي والفكر العلماني، في تعريفه، على منجزه الأدبي. منجز منشور في قصائد نشرها شمئيل في صحف أو ضمّننها في مقالاته الفكرية، ولم يسبق أن جُمع أو نُشر في ديوان من قبل، خصوصاً أن أغلب هذه المنشورات التي ضمّت شعره ما تزال مجهولة، كما يقول يواكيم.

بترجمة سيّد أحمد فتح الله أبو زيد، صدرت حديثاً عن «منشورات الجمل» النسخة العربية من كتاب **الإلحاد في المسيحية** للفيلسوف الألماني إرنست بلوخ (1885 - 1977). في هذا العمل الصادر عام 1968، ينتقد بلوخ تركيب الذهنية الدينية ضمن سياق النقد الذي بدأت به الماركسية إزاء الدين؛ معتبراً أن «المسيحي الحقيقي فقط باستطاعته أن يكون ملحدًا، والملحد الحقيقي فقط باستطاعته أن يكون مسيحيًا جيدًا». من أبرز مؤلفات الفيلسوف الألماني الأخرى: «مبدأ الأمل» (ثلاثة أجزاء بين 1954 و1959)، و«الذاتي والموضوعي: إيضاح حول هيغل» (1971).

لدى منشورات «إيفيجي» في غرينستوتو بإيطاليا، تصدر قريباً الترجمة الإيطالية لمجموعة أحلام ليلية **أمازيغية** للشاعرة والروائية وال مترجمة المغربية، التي كتبت بالفرنسية، سهام بوهلال، بترجمة نينو موتزي. ظهر العمل بالفرنسية عام 2007 لدى دار «المنار»، ومنذ ذلك الوقت أصدرت بوهلال عدّة مجموعات شعرية، مثل «الجسد الضوء» (2008)، و«موت لا يندمل» (2010)، و«ملح الحب»، و«وجه العالم الآخر» (2014). إضافة إلى روايات وترجمات إلى الفرنسية، ولا سيّما من الأدب العربي القديم، مثل «الكتاب الموشّي» لأبي الطيب الوشاء البغدادي الذي صدر عن دار غاليمار.

صدر عن «دار جامعة حمد بن خليفة»، كتاب **قطر التي عشناها** الذي يقدم فيه مؤلّفه فيصل بن قاسم آل ثاني في عشرة فصول شهادته حول تاريخ بلد المعاصر منذ نشأة الدولة، مستعيناً بتجربته الشخصية ولامسه بالتراث ومواكبته للتحوّلات الاجتماعية والاقتصادية. وقال آل ثاني في حفل توقيع الكتاب الذي جرى على هامش «معرض الدوحة للكتاب»، إن فكرته جاءت من رغبته «في التأريخ بالوثائق والصور النادرة لمسيرة قطر منذ نشأتها»، بناء على ما قرأ وسمع ورأى بنفسه. يوثق العمل محطات اجتماعية واقتصادية وسياسية معرّزة بوثائق وأرقام وصور.

عن «الشبكة العربية للأبحاث والنشر»، صدر حديثاً بترجمة أحمد محمود إبراهيم كتاب **تاريخ الإسلام** من تحرير عالم الاجتماع الإيطالي والباحث في الأديان القارئة أرماندو سالفاتورى، يدرس العمل الإسلامي في مستوياته الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، راصداً تحوّلات المجتمعات الإسلامية في مختلف العصور والأقاليم على نحو أنتج سردية تاريخية لتطوّر الإسلام وحضارته. اشتغل في الكتاب باحثون من تخصّصات مختلفة على دراسة التاريخ الإسلامي في حقب زمنية مختلفة، بإشراف سلفاتورى الذي شارك بكتابة مقدّمته واثنين من فصوله.

تحت عنوان **غزليات: ترجمات من شعر اللغة الأردية الكلاسيكي**، صدرت لدى «منشورات جامعة هارفارد» في الولايات المتحدة، مختارات من أعمال الشاعر الأردني، المولود في هند القرن الثامن عشر، الخاضعة للحكم المغولي، مير تقي مير (1723 - 1810). تُعطي المختارات، التي وقّع ترجمتها الإنكليزية شمسور رحمن فاروقي، صورة عن تجربة هذا الشاعر الذي تصفه مقدّمة الكتاب بأنه «أكثر الشعراء تميّزاً في اللغة الأردية»، ولا سيّما في قصائده الغزلية التي وصلت، ثيمة ونظماً (لناحية تقسيم الأبيات وتقفيتها)، إلى الهند من الشعر العربي.

**الزعماء العرب: بُناء وطُغاة في القرن العشرين** عنوان كتاب للاكاديمي والمؤرخ العراقي سيّار الجميل، صدر حديثاً عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر»، يشير المؤلف - الذي يعمل أستاذاً زائراً لتاريخ الشرق الأوسط في جامعة ولاية أريزونا، و«ويسترن» الكندية - إلى أن كتابه يسمّى إلى أن «يكشف تاريخياً عن جوانب من فلسفة الزعامة العربية»، من خلال تسليط الضوء على أساليب الحكم وأخلاقيات عدد من الزعماء العرب، الذين يقسمهم إلى زعماء أخلاصوا لبلادهم وشعوبها وكانوا من البتّانين، وآخرين كانوا أقرب للطغيان والاستبداد.

